النقدي الذى وضع فيه الدكتور مندور شعر « أبى تمام » كما أنهم قادرون على أن ينظروا إلى القرن الرابع والخامس من خلال المنظار الذى نظر به مندور إلى الشعر العربى منذ ظهور الإسلام حتى القرن الثالث .

وليس يعنينا الآن كما قلت أن ننظر فى هذه الأمور كلها ، وإنما الذى يعنينا أن نضع الشعر العربى بعد الاسلام فى مكانه الصحيح ، لا يتزحزح عنه إلى مابعده ، أو يرتد فى الزمن عنه إلى ماقبله ، أو نكلفه فوق ماكان يطيق وفوق ماكان المجتمع العربى يطيق كذلك . أو أن ننظر إلى تقاليد الشعر الجاهلى نظرتنا إلى الطوفان الذى لا تحين معه فرصة لراغب فى الحياة أن يتنفس إذ سرعان ماتطويه اللجة الطاغية فى غمرة اليم طى العباب . ولسنا نعنى بذلك أن تقاليد الشعر الجاهلى كان ينبغى لها أن تنقرض بتأثير الاسلام أو بغيره حتى يملك الشعر بعد الجاهلية حق الحياة ، وحرية الحركة مع الزمن والعصر وقيمه ومثله . ولكن إذا كان لهذه التقاليد أن تبقى ولا تنقرض ، فما كان لها أن تستبد أو تنقض على صور الحياة فتوقف توالبها وتشل تتابعها : على نحو ما يحاول الدكتور « مندور » أن ينظر إلى هذه التقاليد من خلال قصيدة المدح أمام حركة الحياة ، ووقوفها جامدة عند أقدام الزمن . يقول :

« وإنما هي تقاليد الشعر الجاهلى التى استمرت مسيطرة بعد أن دخل التكسب فى الشعر فأصبحت المدائح تتكون من جزئين منفصلين تمام الانفصال : القصيدة القديمة كما نجدها عند الجاهليين القدماء ، ثم المدح . ولا أدل على ذلك من أن نفكر فيما كان من الممكن أن تكون عليه تلك المدائح لو لم يوجد الشعر الجاهلى الذى لا مديح فيه ، ولو لم يطغ سلطانه على الشعراء اللاحقين » .

أقول إن ظاهرة المديح هذه والتكسب فى الشعر التى أدانها الكثير من النقاد ، ورأوها تجمد روح الشعر حتى فى العصر العباسى الذي انفتحت فيه الحياة والأدب معها على عدد كبير من التأثيرات التى رأوا أنها لم تستطع أن تحل